الفصل الثانى

صياغة الأهداف التربوية فى اطار الاسلام ومصادر اشتقاقها فى عصرنا الحاضر

صياغة الأهداف التربوية فى اطار الاسلام ومصادر اشتقاقها فى عصرنا الحاضر

مستويات الأهداف التربوية :

للأهداف مستويات تتحدد بمقتضاها طبيعة هذه الأهداف وقدرتها على التنفيذ ، ومداها الزمنى ، وهذه المستويات كما اصطلح عليها المربون هى الفلسفة والسياسة والاستراتيجية والتخطيط والأغراض السلوكية ·

فالأهداف على مستوى الفلسفة غيرها على مستوى السياسة ، أو الاستراتيجية ، أو التخطيط ، أو الأهداف السلوكية · فحيث يحكم المستويات الأولى طبيعة النظر والحبكة الأكاديمية يحكم المستوى الاخير طبيعة التمثل والتطبيق المباشر ، وان كانت الشروط الأكاديمية أمرا حيويا بالنسبة لها أيضا · وسوف نناقش هذه المستويات لنصل الى معنى أوضح لهذه الأفكار التى تضمنتها هذه السطور ·

فالفلسفة هى مستوى البصر لطبيعة القضايا الاجتماعية المتعددة والمتنوعة بعد تحديدها ، وطرح الأسئلة الخاصة بها · ولكنها دائما ما تشد الواقع الى سماء المثل العليا والقيم الأسمى والمراتب والمرتقيات المتسامقة ، ومن هنا يكون مستوى الأهداف ـ فيها مثالية تتصف بالتعميم أكثر مما تتصف بالقدرة على الاجرائية والتطبيق · ومع ذلك تظل الفلسفة هى الموجهات التى تحدد أطرا أرحب وأوسع للأهداف البعيدة المدى التى ينشدها الانسان ، وتتطلع اليها الحياة فى شوق زائد ، وتمن يملك الوجدان والشعور الانسانى فى المجتمع ·

أما السياسة فانها تحاول أن تجعل من هذه الأهداف شعارات ومبادىء تنير الطريق ، وتوضح الرؤية أمام التجارب الاجتماعية والاقتصادية التى تخوضها الأمة فى معركتها مع التحديات المعيشية

والحياتية التى تواجهها باستمرار · ومن هنا تكون الأهداف فى موقع وسط بين المثاليات الضاربة فى سماء عالية وبين الواقع المتمثل فى كل تجارب الحياة وخبراتها الحاضرة والمستقبلة ·

أما التخطيط فهو أسلوب علمى لمحاولة ضبط هذه لأهداف ضبطا واقعيا محاولا شق طريق من التصميم العلمى على أساس حسابات الواقع وامكاناته ، فى محاولة لتحقيق أهداف محددة ، فى مرحلة زمانية محددة أيضا ، متوقعا ومفترضا أن تحقيق الأهداف المرحلية هذه هو الطريق الموصل الى تحقيق السياسة ، وتحقيق مثاليات الفلسفة وأهدافها العليا فى اطار مرحلى يؤدى الى مراحل تالية ·· مؤمنا بأن الزمن والمستقبل هو القادر على تحقيق هذه المثاليات ·

أما الأهداف الاجرائية فهى التحديد الواقعى الملموس للأهداف ولطريقة تنفيذها عمليا على مستوى جزئيات صغيرة محددة الاتساع الزمنى والاجتماعى ·

وهذه الأهداف الاجرائية هى ما يطلق عليها فى مجال التربية الأغراض التعليمية ، أو الأهداف السلوكية التى تتحقق كل يوم وكل ساعة من خلال خبرات المنهج المدرسى فى خبراته المتدرجة والمتنوعة ·

نخلص من هذا الى أن الأهداف ليست واحدة ، من حيث الحجم والامتداد والمستوى ، فهى تتدرج فى وزنها وحجمها ، وفى درجة صياغتها، وفى قربها وبعدها من المثل أو الواقع ، وفى قربها وبعدها من مجال التطبيق والتنفيذ ـ كما تتدرج على سلم ممتد بين المثاليين والفلاسفة والسياسيين والمخططين حتى تصل الى المسئولين عن وضع الأهداف التعليمية والقائمين على تنفيذها فى كل مستوى من مستويات الحياة التربوية والمراحل التعليمية ·

واذا صح هذا فى مجال الأهداف بوجه عام فهو صحيح أيضا فى مجال الأهداف التربوية ، فالمستوى الأول هو الاهداف التربوية

النهائية ، وهى التى تشتق من الفلسفة التربوية فى المجتمع ، والتى بدورها تشتق من الفلسفة الاجتماعية لهذا المجتمع ٠

والمستوى الثانى هو الأهداف التربوية الوسيطة ، وهى التى تتضمنها السياسة التربوية وتتحدد على أساس الاستراتيجيات المحددة فى العمل التربوى ٠ والمستوى الثالث هو الأهداف أو المرامى المحددة التى يبنى عليها التخطيط التربوى لكل قطاعات التربية ومستوياتها وعناصرها المختلفة ٠

ثم يأتى المستوى الرابع وهو المستوى الذى تبرمج فيه الأهداف ، ويوضع لها البرامج والمشروعات التربوية المحددة ، التى تتحول بمقتضاها الأهداف التربوية الى واقع سلوكى لدى أبناء الأمة فى داخل العملية التربوية ٠

وفى اطار كل مستوى من مستويات الأهداف تتضح لنا مجالات الفلسفة التربوية والسياسية التربوية ، والاستراتيجية التربوية والتخطيط التربوى ، حيث يتناسب كل مستوى مع هذه المجالات بالتدريج ٠

وظائف الأهداف التربوية :

وتتمثل الأهداف التربوية فى ثلاث وظائف معيارية هامة فى رأى بروبيكر (١) ٠ فالأهداف تحدد للتربية وجهتها فى المقام اول ٠ فقبل أن يشرع الانسان فى عمل تغييرات فى المناهج أو فى وضع خطة لبناء مدرسة جديدة . أو اضافة أشخاص جدد لهيئة التدريس ـ يجب أن يسأل نفسه عن اغراضه التربوية ، وعن اتجاه العادات والتقاليد التى توجه سير العملية التربوية وبغير ذلك تتحول العملية التربوية الى عملية آلية ٠

---

(١) John S. Brubacher, Modern Philosophies of Education. Fourth Edition TATA McGraw-Hill Publishing, Co. PVT. LTD. Bombay - New Delhi p. 95.

اما الوظيفة الثانية فهى أن الأهداف تعتبر حافزا للعملية التربوية ذاتها ، فلا يجب أن تحدد الأهداف اتجاه التربية فحسب ، ولكنها ينبغى أن تحفزها أيضا · ان الأهداف قيم ، فى حد ذاتها · فاذا وضحت فيها هذه الخاصية القيمية ، وأصبح مرغوب فيها فانها تحرك المتعلم حتى تنطلق قواه لتحقيقها ·· والأهداف التى تحدد اتجاه العملية التربوية ولكنها لا تحفز المتعلم ، فان فعاليتها تصبح محددة لا تتجاوز ٥٠٪ من فعالية العملية التربوية ·

أما الوظيفة الثالثة فهى أن الأهداف تمدنا بمعيار لتقويم العملية التربوية · فيها يتحدد الاطار المرجعى الذى تقاس على أساسه ، وتقوم العلمية التربوية فى خطوات تطبيقها وتقدمها ·

وهذه الوظائف الثلاث للأهداف لا يسهل تحقيقها الا اذا كانت الأهداف نفسها واضحة سهلة ، بحيث تكون فى مستوى القدرة الحقيقية للمتعلم ، كما تعبر فى نفس الوقت عن المطالب الاجتماعية للمجتمع وتواكب المتغيرات المعاصرة ·

صياغة الأهداف التربوية :

كيف يتحدد اتجاه التربية ؟ أليس من المتوقع منطقيا القول بأن معايير المجتمع هى التى تحدد ـ بل ينبغى لها أن تحدد ـ أهداف التربية ؟ فى الحقيقة هذا صحيح · ولكن هو البداية فقط لصياغة الأهداف التربوية ·

فأهداف المجتمع لا يجب أن تؤخذ دون دراسة ونقد وتمحيص ·

ومما لا شك فيه أن المدرسة ينبغى أن تكون حساسة لمطالب المجتمع اليومية · ومع ذلك فيجب أن تستبطن عملية صياغة الاهداف التربوية التربية نفسها من الداخل · فمن مهام التربية أن تهتم بتعليم الفرد كيف يبلور أهدافه ، وكيف يحدد القيم التى يتخذ منها أهدافا له · ومن هنا كان ضروريا أن يتوافر فى التربية مقاييس ومعايير ذاتية تحدد بها وجهتها · كما تفعل حينما تضع المناهج والطريقة فى التربية · ان اشتقاق

أهداف التربية كلهـا جاهزة من بعض المصـــادر الخارجية عن العملية التربوية يجعلها مجافية لطبيعة العملية التربوية ذاتها(١) · أو أن الظروف الاجتماعية الخارجية تمدنا بالمعايير التى نحكم بهـا على نتائج العملية التربوية ، ولكنها لا تمدنا بالمعيار التربوى ·

فاذا ما تقبل الانسان المجتمع تقبلا كبيرا أو صغيرا فى وقت ما ، فان هدف تنمية الأطفال معناه تنميتهم للمستوى الذى يتنافس عليه الكبار · فالأمور التى يفضلها الكبار تصبح أهـدافا عزيزة على الصـــغار ·· والوصول اليها ، حسب اعتقادنا ، سوف يبدد جهل الصغار ، ويقضى على عدم نصجهم · ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن أهداف التربية توضع خارجيا من اليافعين · ولا يكون لدى الأطفال الا القليل ليفعلوه ، ولكنهم يوافقون ويركزون عليها ·

وعلى الوجه الآخر اذا وجد الانسان نفسه غير راض عن الظروف الاجتماعية الخارجية ، فمن الممكن أن تشتق أهداف التربية أصلها من عيوب المجتمع . وكيف يمكن معالجتها · اى تصبح التحديات الاجتماعية ومشكلات الواقع الاجتماعى مجالا خصبا لاشتقاق الأهداف ليشب الأطفال على التفكير فيها ومعالجتها ·

ان هناك الكثير من الطرق التى يمكن بها أن نقر بها أحسن نماذج فى حياة الكبار ، والتى يمكن أن يتجه اليها الصغار · البعض يحاول أن يشتق الأهداف التربوية من التحليل التاريخى للمؤسسات الاجتماعية · والبعض الآخر يشتقهـــا من التحليل الاجتماعى للحيـــاة الجارية · وهم يحاولون بنظرة واحدة على الحيـــاة الجارية أن يضعوا تحليلا وصفيا لأنشطة الأطفال من جهة ، ولانشطة الكبار من جهة اخرى · ولقد سجل أصحاب هذا الفريق أخطاء الأطفـــال التى يمكن المدرسة أن تستهدف تصويبها ، فى حين عمل فريق آخر تحليلا مهنيا لمهن عديدة للكبار ، والتى

---

(١) John Dewey, The Sources of Education Referred to by Ibid p. 96.

على المدرسة أن تعدهم لها · ويختلف عن هؤلاء أولئك الذين يحاولون أن يتنبئوا بالأهداف التربوية على أساس من الدراسة النفسية لطبيعة الانسان الأساسية ·

وللمدخل الاجتماعى ـ فى رأى مفكرى الغرب التربويين المعاصرين ـ عيب أساسى . انه يستطيع أن يقرر ما هـو موغوب فيه حاليـا ، ولكن لا يستطيع أن يقرر ما يجب أن يرغب فيه مستقبلا · ولكى تجعـل التاريخ والعلم يقرران ما يجب أن يرغب فيه فعليك أن تشـد المستقبل والحاضر للماضى ·

وفى شأن واضعى الأهداف يقرر الفكر الغربى المعاصر ما يلى :

« بينما يجب الحذر من العلماء عند صياغة أهداف التربية فليس من الضرورى استبعادهم تمـلما ، اذ أن معنى ذلك أن يترك اختيـار الأهداف تماما للفلاسفة ·

وبينما لا يوافق التربويون على أهداف يضعها العلماء على أسس منطقية فانهم أيضـا ربما يفعلون اكثر من ذلك بالنسبة للأهداف التى توضع على أسس نفسية » :

صياغة الأهداف فى الفكر التربوى الاسلامى :

ان الفكر التربوى فى الاسلام لا يقع فى مثل تلك الحيرة التى يقع فيها المفكرون الغربيون المعاصرون · ففيه أمور مقررة لا تقبل الشـك أو النقد · وانما هى مسلمات ضرورية تهدى الى السبيل فى تحـديد الأهداف التربوية وصياغتها ، ومصادر هذه الصياغة على نحو ما سنعرف تفصيلا فيما بعد ·

فكيف تصـاغ الأهـداف التربوية فى اطار النظرية التربوية فى الاسلام ؟ لعل ذلك هو صلب هذا البحث · وهو ما سنفرد له الصفحات المقبلة ·

مراحل الأهداف التربوية :

هنـــاك أهداف قريبة ، وأهداف أخرى بعيدة • والأهداف القريبة يساعد تحقيقها على بناء الوسـائل الممكنة لتحقيق الأهداف البعيدة • كما انها تلقى أضواء كثيفة على النظام الذى يحدد خطوات السير نحو هذه الأهداف البعيدة •

وتتطلب الأهداف مجموعة من الوسائل التى تجعلها ممكنة التحقيق • وبمجرد تحقيق الأهداف فان ذلك فى حد ذاته يشير الى أهداف جديدة •

أهم أسس صياغة الأهداف التربوية :

أولا : الهدف التعليمى ينبغى أن يكون واضحا فى صياغته ، بسيطا فى ادراكه ، ممكنا فى تطبيقه •

ثانيا : ينبغى أن يوضع الهدف التعليمى مناسبا للمرحلة العمرية فى النظام التعليمى • وهذا التناسب تحدده خصائص نمو المرحلة ، كما تحسمه التجارب العلمية على تلاميـــذ المرحلة ، فى بيئة معينـــة ، وفى مجتمع بذاته •

ثالثا : أن يكون الهدف التعليمى متضمنا ذلك السلوك الذى نتوقع أن يتعلمه تلاميذ المرحلة العمرية • ولذلك فان الأهداف العامة ينبغى أن تحلل الى أهداف فرعية مصاغة صياغة سلوكية •

رابعا : أن يعين الهدف التعليمى على صياغة للخبرات التعليمية التى تحققه فى الناشئة والشباب •

خامسا : أن تتصف الأهداف التعليمية بالاستمرارية ، بحيث تبنى على أهـــداف ســـابقة ، وتمهـد لأهداف لاحقة ، وأن يتواكب مع ذلك باستمرار الخبرات والمناهج التعليمية • ذلك لأن خصائص النمو حلقات فى سلسلة تكون النمو الانسانى للكائن البشرى •

سادسا : أن تتصف الأهداف بالشمول ، حيث ينبغى أن تشمل جميع نواحى النمو الانسانى •

سابعا : أن تتصف الأهداف بالتكامل ، حيث ينبغى أن تكون جميع اتجاهاتها متكاملة بحيث يتكامل النمو الجسمى مع النمو العقلى والنمو الوجدانى والروحى ، والنفسى والاجتماعى حتى يحقق الشخصية المتكاملة المتناسبة مع كل مرحلة عمرية ٠

مصادر الاهداف التربوية :

تعكس أهداف التربية وفلسفتها أهداف المجتمع وفلسفته ، أو هكذا يجب أن تكون ٠ وأهداف المجتمع ـ أى مجتمع ـ عـــادة ما تتحدد فى تطلعات وآمال ينشد تحقيقها فى مدى زمنى محدد ٠ أما فلسفته فعادة ما تتعلق بآمال وتطلعات ينشد المجتمع تحقيقها على المدى البعيد ٠ وهذه الفلسفة ، وتلك الأهداف الاجتماعية يتحدد فى مضمونها نوع المجتمع ، ونوع المواطن فى هذا المجتمع الذى يحقق صبغته ويحقق أهدافه ٠

ولذلك فان مصادر اشتقاق الأهداف التربوية يمكن أن نتبينها فى فلسفة المجتمع وأهدافه ، وفى تراثه الثقافى الذى ورثه ، وهو الآن يعتز به ، ويحرص على احيائه فى ثوب جديد ، وفى الانسان وطبيعته وأهدافه وحاجاته المختلفة ، وفى الصورة المعاصرة للمجتمع وللانســـان ، وفى الصورة المستقبلة لهذا المجتمع ، ولذلك الانسان ٠

ويحدث التناقض والصراع فى الحيـاة بجميع أوجه نشاطاتهـــا السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأسرية ، حينما لا تتوافق فلسفة المجتمع وأهدافه مع تراثه الثقافى ، ومع صيغة جيدة جديدة له ، بحيث يتكيف مع الحياة المعاصرة وتتكيف معه ، كما يحدث هذا الصراع حينما لا تتوافق مطالب الانسان وحاجاته وامكاناته مع فلسفة المجتمع وأهدافه ، ولا مع التراث الثقافى ٠ والعكس صحيح ٠ فان هذا الصراع يحتدم اذا لم يتوافق الانسان مع المجتمع فلسفة ، وأهدافا ، وتراثا ٠٠

فما هى فلسفتنا ؟ وما هى أهدافنا ؟ وماذا عن تراثنا ؟ وماذا عن

انسان هذا المجتمع ، وأهدافنا من بنائه وتنشئته ؟ وما هى الأدوار التى يجب أن تعده التربية لها ؟

فلسفتنا وأهدافنا الاجتماعية :

أن مجتمعنا يدين بدين سماوى · وهـــذا هـــو البعد الأساسى فى فلسفته · بل هى فلسفته كلها · وهذا الدين هو اطاره الفكرى العـــام الذى يصوغ أنماط حياته ويشكلها ، أو هكذا يجب أن يكون · ولذلك فان صياغة أهدافنا الاجتماعية ، وأهدافنـــا التربوية تستوحى هـــذه الخاصية الهامة فى حياتنا ، أو هكذا يجب أن تستوحيها ·

أما البعد الثانى من أبعاد فلسفتنا فهو العلم وتطبيقاته فى الحياة · فنحن أمة تؤمن بالعلم ومنهجه وتطبيقاته ، وتعتبره أساســـا من أسس بناء المجتمع والانسان ، وأساسا لرفاهيته وتقدمه · ومن ثم فان أهدافنا الاجتماعية ـ وبالتالى أهدافنا التربوية ـ تستوحى هـــذه الصـــفة فى حياتنا ، أو يجب عليها أن تستوحيها ·

أما البعد الثالث فهو العمل والانتاج · فبلادنا تعتبر العمل والانتاج هما أساس الحياة واستمرارها · ولذلك فالانسان على هذه البقعة من العالم يعتبر العمل والانتاج مرادفين للحياة والبقاء والاستمرار ·

فلسفتنا وأهدافنا الاجتماعية بين الماضى والحاضر والمستقبل :

ماذا عن أهدافنا وفلسفتنا الاجتماعية ؟ وكيف نبلور أهدافنـــا التربوية وفلسفتنا التعليمية ؟ مترجمة لها ، محققة لمضامينها فى الانسان ؟

أنستمدها من مثاليات نظرية ، مثلما فعل أفلاطون حينما طرح فكرا نظريا بحتـــا وترك النـــاس من بعده يجتهدون فى تطويره وتكييفه مع واقعهم ؟

أم نستمدها من تجارب اجتماعية معاصرة نشأت فى بيئات أملتهـــا ظروف تجارب اجتماعية وتاريخية معينة خاصة بها ، ناسين أو متناسين ظروف تجاربنا الاجتماعية والتاريخية وما أفرزته من نمـــاذج مشرقة ، كانت فى حد ذاتها هادية للنماذج العصرية بطريقة ما ، فقد استفادت منها

هذه النماذج المعاصرة وطوعتها لظروفها وطبيعة تاريخهـــا الثقـــافى والاجتماعى ؟ .

أم نستمدها من مثاليات نظرية واقعية عرضها لنا الاسلام الحنيف حينما وضع نماذج مثالية للحياة البشرية ، وتمكن رسوله الكريم بوحى السماء أن يخط على أرض الواقع الاجتماعى نموذجا حيا واقعيا لحياة اجتماعية تتجسد فيها كل مثاليات الاسلام ونماذجه الفكرية ؟

اذا كانت الاجـــابة البديهية تنحصر فى ضرورة وحتمية الأخـــذ بالبديل الأخيرة ، وهو التوجيه الذى يمليه علينا تاريخنا وتجاربنا الثقافية المستوحاة من ديننا الاسلامى الحنيف ، فان المنطق يفرض علينـــا أن نناقش كيفية الافادة من هذه التجارب التاريخية والنماذج الاسلامية فى صياغة أهدافنا الاجتماعية ، وبالتالى أهدافنا التربوية .

كما يقتضى أن نعرف تلك التحديات المعاصرة ، سواء منهـــا تلك التحديات الداخلية التى تواجه مجتمعاتنا أو تلك التحديات المعاصرة التى تفرضها علينا ظروف وأحوال الحضارة المعاصرة بكل تجاربها ونماذجها الاجتماعية التى عاشت بها وتعايشت معها ، بل سعت الى أن تأخذ بهـا بقية بلاد العالم الأخرى ، متخذة فى ذلك كل الوسائل والأساليب المشروعة انسانيا ، وغير المشروعة أخلاقيا .

اننا اذا أردنا أن نتوجه فى مسيرتنا مسترشدين بقيم اشرأبت لهـا أعناق البشرية فى تراثنا التاريخى ومنهجنا الدينى ، فان ذلك يتطلب مناخلا لمشكلة ما تفرضه علينا التجارب المعاصرة من نماذج .. وما يمكن اقتباسه ، وما يمكن رفضه منها .. ولماذا نقتبس منهـــا ؟ ولماذا نرفض عناصر ثقافية فيها ؟

ان ذلك كله يبرز أمامنا مطلبا هاما فى تحديد أهدافنـــا . هـــذا المطلب هو : كيف ندرس خصائص تراثنا الثقافى ونبلور مغزاها الحقيقى ، وكيف ندرس خصـــائص العصر ونبلور مغزاها الحقيقى ، ونصيغ من

هذين المغزيين معادلة يمكن بها أن ننطلق نحو التقدم فى المستقبل ، وأن نواجه بها مشكلات وتحديات الواقع الحضارى الذى نحياه ·

من هذا نستطيع أن نوضح أهدافنا من هذه الدراسة فى الأسئلة الآتية :

١ ـ ما هى خصائص تراثنا الحضارى ومنهجنا الاسلامى ؟ وما مغزاه ومضمونه الحقيقى الذى ينبغى أن نستوحى منه خصائص حاضرنا ، ونحدد على أساسها أهداف تربيتنا ؟

٢ ـ ما هو المغزى الحضارى المعاصر المناسب لنا ؟

٣ ـ ما هى التحديات التى تواجه واقعنا وتحدد ما نأخذه من خصائص الحضارة المعاصرة وما نرفضه منها ؟

اذا استطعنا أن نجيب عن هذه الأسئلة فان ذلك هو سبيلنا الى تحديد أهدافنا فى الحياة ومناهجنا لتحقيقها · وبالتالى استطعنا أن نحدد أهدافنا فى تغيير الناس ، وفى تربية النشء وتنشئتهم حتى يتغير واقعنا : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ·

١ ـ ما خصائص تراثنا الحضارى ومنهجنا الاسلامى ومضمونهما ومغزاهما الاجتماعى والتربوى ؟

ان تراثنا الحضارى ثراث غنى جدا بالمعانى والرموز ، والقيم والاتجاهات والمهارات · وهو ثرى جدا بكل عوامل ووسائل وأساليب ومظاهر التعبير عنها ·

واذا ما قيس هذا التراث فى اطار عصوره التى نشأ ونما فيها ، لبدا رائعا معجزا عبقريا · وهذا فى حد ذاته مدعاة للفخر وللثقة به ، والثقة بقدراتنا وامكاناتنا ، على أن تعطى فى اطار عصرنا الحاضر نماذج لا تقل فى مستواها عن تلك النماذج التاريخية الرائعة ·

ولقد استرشد هذا التراث ، وتمثل كثيرا مما يحتويه اطار الفكر الاسلامى كمتمم للفكر السماوى الذى جاء فى كل العصور التى

سبقته · وكان هذا هو السبب فى ثرائه وغناه · فحيث يسترشد الناس بموجهات مضمونة الصحة والسلامة فانهم لا يخطئون المسيرة أبدا · أما فى الوقت الذى ابتعد فيه الناس عن هذا التوجيه السماوى فانهم ضلوا الطريق ، وتخبطوا فى مسيرتهم ·

والنماذج المشرقة والمشرفة فى تاريخنا هى نماذج استرشد فى بواعثها وتفاعلاتها فى الحياة « بالقرآن الكريم » ، وبسنة « الرسول العظيم » صلى الله عليه وسلم ·

فالنماذج الجيدة فى الحياة السياسية ، وفى الحياة الاقتصادية ، وفى الحياة الاجتماعية وفى العمليات التربوية قد وصلت الى الجودة لأنها تمثلت روح الاسلام ، واسترشدت بموجهاته ، وسارت وفقا لمعاييره وتشريعاته ·

واذا كان البعض ينسب « القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة » الى التراث فانى أرى غير ذلك · لأن مسألة التراث تشير الى الماضى ، وتوحى به أكثر مما توحى بالحاضر والمستقبل · وبذلك تتفق هذه النسبة مع ما يطلقه البعض على الاسلام على أنه دين تراثى ، أو دين جاء لمرحلة سابقة ، أو ماضية ، ولم يعد يصلح للحاضر أو للمستقبل ·

واذا كانت هناك من صلة بين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة » والتراث فهى صلة الموجه · فكل منهما قد وجه أمور الحياة فى الماضى ، وتفاعل معها مما أنتج تراثا اسلاميا فذا وعبقريا · وهذه الصلة ـ صلة التوجيه والتفاعل والترشيد لأمور الحياة ـ تصدق على الحاضر ، كما صدقت على الماضى ، وتصدق على المستقبل مثلما صدقت على الماضى ومثلما تصدق على الحاضر ·

وتراثنا الاسلامى ـ كنتيجة لتفاعل الواقع مع الموجهات الاسلامية من قرآن ومن سنة ـ قد حفل بأعمق المفاهيم والمعانى الانسانية ، واشتمل على أكمل وأتم المبادىء والأسس الأخلاقية التى تنمط الفعل الاخلاقى والسلوك الانسانى فى مجال الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ،

كما احتوى على اقوى حوافز الحياة البشرية ، وعلى أوضح الأهـداف الانسـانية · وبذلك اثرى الحيـاة الفكرية والأخـلاقية والاقتصـادية والاجتماعية فى نطاقه · وارتقت خصائص « العمل » ومعاييره وحوافزه فى اطاره ، فنمت المهارات البشرية ، والعقول الانسـانية والمبـادىء الأخلاقية المتبطة به ، من اخلاص وتقان واتقان وانجاز · فارتقت الحياة المادية فى اطار قيمى واخلاقى رائع ونادر ·

المضمون التربوى للاسلام ، والتراث الاسلامى ، وكيفية تحديد الأهـداف التربوية فى اطارهما :

حددنا فى أحد « بحوثنـا فى التربية الاسلامية » النظرية التربوية فى الاسلام(١) · نقول حددنا اطارها ومستوياتها ، ومناهجها · وحددنا فى أحد بحوثنا الأخرى المضامين التربوية فى الاسلام ، وكيفية تحـديد الأهداف التربوية فى اطار الفكر التربوى الاسلامى(٢) ·

ولسنا فى حاجة الى اعادة هـذه الدراسات ، فيكفى القارىء أن يطلع عليها فى هذه البحوث · ولكننا مع ذلك مطالبون · هنا ـ اتماما للبحث ـ أن نشير الى أهم النقاط التى وردت بشأن النظرية التربوية فى الاسلام ، والمضامين التربوية فيه خاصة ما يختص منها بالأهداف حتى لا نقطع على القارىء تسلسل الموضوع الذى يتابعه ·

النظرية التربوية فى الاسلام تحتوى على كل مواصفات وخصائص ومستويات النظرية · فهى معالجة شاملة للقضايا التربوية كلها ـ الكلية منها والجزئية ·· هى معالجة للأطر الشاملة للفكر الانسـانى ولتفكير الاجتماعى ·· ، وهى معالجة شـاملة لقضـايا الأهداف التربوية فى مستوياتها المختلفة ـ العامة منها والخاصة ـ ، النظرية منها والاجرائية ·

---

(١) مرجع أسبق ، (بحث قدم لندوة أسس التربية فى الاسلام) للباحث ·

(٢) محمود السيد سلطان ، مفاهيم تربوية فى الاسلام ، الكويت ، مؤسسة الوحدة للطباعة والنشر ، شارع فهد السالم ـ ١٩٧٨ ·

وفى اطار هذه النظرية تتحدد أهداف الانسان وأهداف الجماعة فى الحياة ـ وبتحديدها تتحدد أهداف التربية على مستوياتها المختلفة ـ كما تتحدد على مراحل العمر المختلفة ٠

ومستويات النظرية التربوية فى الاسلام ـ التى سبق ذكرها عندما حددنا قضايا هذا البحث ـ تسمح بتحديد اهداف البناء الانسانى لأبناء الأمة فى اطار الاسلام ٠

فالمستوى الأول ـ وهو مستوى العقيدة والاجابة عن قضايا الحياة الكبرى ـ يمكن أن يكون الأساس الأول فى بنـاء فكر الانسان ومفاهيمه وعقيدته عن الكون والانسان وما بعد الكون والحياة ٠ وهذا الأسـاس الأول ينبغى أن تتحرك حـوله كل أبنية المنـاهج الدراسية ، والخبرات التربوية التى تشملها هذه المناهج ٠ فالعقيدة هى المحور ، وهى المنطلق الأساسى فى بناء الانسان المسلم ٠

أما الأساس الثانى ـ وهو مستوى القيم والمبـادىء ـ فهو الذى يبنى وينمى فى الانسان الأسس الفطرية لمبادىء الحق والخير والجمال فى صور مجسدة من الحرية والمساواة والعدل الانسانى والاجتماعى ٠ وبذلك يتأكد الضمير فى الانسان ، وتتأكد معانى ومبادىء الحياة النبيلة والغالية فيه ٠ وبذلك تكون أهداف التربية هى : تنمية الحرية المضبوطة فى الانسان ، والعدل الواضح فى الانسان أيضا ، والاخاء الانسـانى ، والمساواة العادلة فى المجتمع بين كل البشر على أساس تنمية كل جوانب الفطرة فيهم ٠

أما الأساس الثالث ـ وهو التشريع ـ فيكون فى الانسان اهم أهداف الموضوعية ، والخروج عن كل سلبيات النفس البشرية : من انانية وحقد ، وحسد ٠٠٠ كما يحقق هذا الأسـاس توازنا بين الضبط الداخلى الذى يمثله المستوى الأول والثانى ، والضبط الخارجى الذى يمثله هذا المستوى الثـالث ٠

هذه المستويات الثلاثة اذن تشكل معايير الأهداف التربوية في اطار الاسلام حتى يبنى الانسان بناء عقليا واجتماعيا ، وخلقيا ، وجسميا ، وروحيا ، فى اطار سليم من المعايير التربوية المحددة ٠

٢ ـ ما هو المغزى الحضارى المعاصر المناسب لنا ؟

هذه قضية كبرى تطرح الكثير من الأسئلة ٠ وهى تلك الأسئلة التى تضع الاجابة عنها النقط على الحروف ٠ هى الأسئلة التى تحدد الاجابة عنها أهدافنا ووسائلنا ٠ أو على أقل تقدير تساعد على تحديد هـــذه الأهداف وتلك الوسائل ٠ ومن هذه الأسئلة ـ ما يلى :

(أ) ما خصائص الحضارة المعاصرة ؟

(ب) ما ايجابياتها وما سلبياتها ؟ وما موقفنا من كل منهما ؟

(ج) كيف نقتبس هذه الخصائص دون أن تضيع صبغتنا الذاتية ؟

خصائص الحضارة المعاصرة :

ان خصائص الحضارة المعاصرة هى المصدر الثانى من مصـــادر تحديد الأهداف الاجتماعية ، ومن ثم تحديد الأهداف التربوية ٠ هـــذا أمر لا خلاف عليه ٠ ولكن الأمر الذى يجب أن نأخذه فى الاعتبار ونجد له اجابة واضحة فى أنماط حياتنا كلها ، هو : ماذا نقتبس من هذه الخصائص؟ وكيف نقتبس مع المحافظة على صبغتنا الذاتية ؟ ولنبدأ الآن بعرض سريع جدا لخصائص الحضارة المعاصرة ٠

ان هذه الحضارة تتميز بأنها حضارة علمية تقنية ٠ وهذه العلمية التقنية لا تقتصر على اكتشاف ظواهر الكون ، واخضاعها لصالح الانسان فى مخترعات ومكتشفات وتطبيقات علمية ، وانما تمتد لتشمل المجالات الانسانية المتنوعة ، فهى تخضع الحياة الاجتماعية للضبط العلمى بالتخطيط العلمى الدقيق ، وتخضع ادارة شئون الحياة لقوانين وتنظيمات علمية ابتدعتها ٠٠٠ وهكذا ٠ وبذلك فلها تقنياتها فى مجال الحياة الاجتماعية ، والادارة ، والتربية وحتى فى مجال المبادىء الانسانية ـ مثل الحرية ،

والمساواة ، والعدالة الاجتماعية ـ فان لها اسهاماتها فى التجسيد ، والتطبيق فى واقع الحياة فى صورة تنظيمات اجتماعية تحكمها تشريعات اجتماعية ، واقتصادية ٠

والحضارة المعاصرة فى هذا لا تسير سيرا وئيدا ، وانما هى تسرع الخطى بشكل كبير ٠ ولذلك فهى ذات ايقاع سريع يطلق عليه الباحثون التغير السريع فى مجال العلوم الطبيعية وتطبيقاتها ، وفى مجال العلوم الاجتماعية وتطبيقاتها أيضا ٠ وهذا هو السبب المباشر فى التغيرات السريعة التى تتميز بها هذه الحضارة المعاصرة ٠

الأصالة والمعاصرة فى تحديد مصادر الأهداف التربوية :

عرضنا لأهم خصائص الحضارة المعاصرة ٠ فما موقفنا منها ؟ وكيف نشتق أهدافنا التربوية مستفيدين بما جاءت به الحضارة ؟ وما موقف الأصالة التى تميزنا بها من هذه المقتبسات ؟ هذه أسئلة تشكل قضايا هامة فى حياتنا الاجتماعية المعاصرة على وجه العموم ، وعلى حياتنا التربوية على وجه الخصوص ٠

فقضية الأصالة والمعاصرة تطرح نفسها على الفكر المعاصر بصورة قوية فى العالم فى كثير من دول العالم الثالث ، وخاصة فى البلدان الاسلامية، ذلك لأن هذه البلدان لها تاريخ حضارى عتيد ، وفى نفس الوقت تتعالى فيها أصوات تنادى باحياء هذا التراث الحضارى ، وهو كفيل بمعايشة الحاضر ومعانقته ، وأصوات أخرى تنادى بخلع الثوب البالى مرة واحدة وارتياد أبواب العصر دون تردد ، ودون النظر الى الوراء ٠ وأصوات ثالثة تنادى بأن ارتياد أبواب العصر ليس معناه اغلاق النوافذ المطلة على التاريخ والعبرة ، ولكن ولوج باب العصر والعصرية ينبغى أن يأخذ فى حسبانه قيم الماضى وتجاربه الحضارية ٠

التوازن بين الأصالة دون تزمت والمعاصرة دون اندفاع :

فالتوازن بين خبرات الماضى والاستفادة منها ، وخبرات الحاضر المعاصر وتمثلها ، امر تحتمه طبيعة التسلسل الزمنى وأبعاده ٠ فالماضى

معروف انه مدخل الحاضر ، والحاضر هو مدخل المستقبل · والحاضر يجد جذوره فى الماضى ، ويتوقع ثماره فى المستقبل ·

الاقتباس : كيف نقتبس ؟ ومتى ؟ ومن اى المصادر ؟

يحتل الاقتباس فى الاسلام مكانة سامية · ولقد ظهر ذلك فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحكمة ضالة المؤمن فانى وجدها فهو أولى الناس بها » · فكانما الحكمة التى يوليها الاسلام أهمية فى المقام الأول اذا وجدها المسلم فى أى مكان وعند أى انسان جرى اليها ليمسك بزمامها ·· ويؤكد هذا المعنى أيضا قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا العلم ولو فى الصين » ومعروف فى ذلك الوقت أن الصين بلد غير اسلامى ·· كما انه بلد بعيد بمعيار عصر الرسول ·

وبهذه الروح الاسلامية جلس علماء المسلمين فى مجلس التلاميذ من علوم وأساتذة البلاد التى فتحوها يتتلمذون على أيديهم ، حتى أمسكوا بكل حكمة ومعرفة وعلم · وتفاعلت خبرات المجتهدين من البشر على مر التاريخ البشرى مع حكمة السماء وتعاليمها ·· مع قيمها ومبادئها وتشريعاتها التى صاغها الله سبحانه وتعالى ، فبنيت حضارة اسلامية يضرب التاريخ بها الأمثال ·

فيادعاة الاسلام فى هذا العصر ، لا توصدوا باب الاجتهاد ، ولا باب الاقتباس ، ولا باب التتلمذ على أيدى غيرنا ممن لا يدينون بديننا بشرط واحد : أن ما نأخذه عنهم ينبغى أن يكون فى اطار الاسلام ، وتحت لوائه، وفى مظلة القيم الاسلامية العظيمة ··

ـ نقتبس من غيرنا كل ما هو صادق وصحيح فى مجالات الاجتهادات البشرية المختلفة ، على الا يتناقض مع الأسس والمباديء العامة لديننا الاسلامى ·

ومهما كان المصدر الذى صدرت عنه الحقيقة الصادقة فنحن مطالبون بأن نأخذ بها ولا نرفضها ·

ما ايجابيات الحضارة المعاصرة وما سلبياتها ؟ وما موقفنا من كل منها ؟

لقد ناقشنا فى ثنايا ذكرنا لهذه الخصـــائص ايجابياتها ، فهى خصائص انسانية ، ناضل الانسان فى سبيلها عبر تاريخه الطويل ·· وما زال يناضـــل متطلعا الى تحقيقها بالكامل كلمـــا استطاع الى ذلك سبيلا · ومن ثم فهى تشكل الأهداف الكبرى للانسان فى كل مكان وفى كل زمان · على أن يطوعها لأوضاعه وظروفه الاجتماعية المختلفة ، وان يحقق بها رفاهته وسعادته · كما انها تشكل القيم العليا لهذا الانسان · وهى القيم التى يبذل فى سبيلها كل غال ورخيص ·

فحقوق الانسان فى الحرية ، وفى التفكير الذى يسلمه الى التخطيط لحياته وحياة مجتمعه ، وادارة شئونه ، وشئون مجتمعه بأسلوب جـاد وفق آخر ما يصل اليه هذا التفكير من أساليب ، وحقوقه فى أن يمارس هذه الحقوق فى اطار من الفرص التى هيأها الله للانسان دون عائق ، أو ظلم · وهى ما تشكل لديه مفهوما عن العدالة والمســـاواة واتاحة الفرص · نقول ان هذه الحقوق كلها لا يختلف انسان على انها خصائص انسانية ، وعلى انها قيم انسانية كبرى ، وعلى انها أصبحت بشكل كبير فى هذا العصر ·

وهى ان كانت مطروحة فى هذا العصر فلا يعنى ذلك مطلقا انهـــا تلقى الفهم الواضح تماما ، أو تلقى التطبيق ممهدا سهلا فى ارض الواقع الاجتماعى المعاصر ، أو لايشوبها كثير من الانحرافات والسلبيات · ان فيها كل ذلك ، فهى لا تلقى الفهم الواضح من كل الناس فى هذا العصر ، ولا لاتجد الطريق معبدا فى كل المجتمعات المعاصرة للتطبيق السهـــل الميسر ، ولا تخلو من الانحرافات والسلبيات التى تطمس معالمها وتحولها عن طريقها الصحيح ، وعن مفهومها الأصيل ·

فكم يســاء فهم الحرية ؟ وكم تستباح الحرمات وتنتهك الأعراض باسمها ؟ وكم يساء تطبيق الديمقراطية ؟ وكم يمارس الظلم باسم العدل الاجتماعى ؟ وكم تنتشر سلبيات المحسوبية والرشوة باسم تكافؤ الفرص؟ وكم تستباح الدماء باسم العدالة والقانون وسيادته ؟

كيف السبيل اذن للوقاية من هذه السلبيات ؟ هل نرفض اقتباس النماذج البشرية ونتائج للخبرات الانسانية فى هذه الخصائص الانسانية الكبرى لنبتعد عن هذه السلبيات ؟ هل نقتبس هذه الخصائص بما فيها من سلبيات ، اى نقتبسها على علاتها ونأخذها ككل كما يرى البعض من المشوهين فكريا ، المعتلين نفسيا ، المشبوهين عقائديا ؟

اننا اذا رفضنا اقتباس نتائج الخبرات البشرية لاحتاج ذلك منا زمنا طويلا حتى نختصر مسافة التخلف فى بعض مظاهره وابعاده ، مثل التخلف العلمى والتكنولوجى · ولكن الأمر يفرض علينا أن نقتبس حتى لا نتقوقع على انفسنا فتتكلس حياتنا ·

ولكن الأمر يفرض علينا أن نزن ما اقتبسناه بميزان معاييرنا وقيمنا السماوية التى لا تعلوها معايير ولا قيم ·· حينئذ سنضمن سلامة أهدافنا وسلامة مسيرتنا ·

كيف نقتبس اذن ؟ ان اقتباسنا لخصائص العصر ضرورة · فلا يمكن الاستغناء عن الحرية والتحرر ، ولا عن العلم وتطبيقاته فى مجالات الحياة المختلفة ، ولا عن التخطيط العلمى بكل ابعادة ، ولا عن الادارة العلمية بكل اساليبها التطبيقية · ولا عن التربية العلمية بكل تشكيلاتها وتنظيماتها وصياغاتها المنهجية ·· ولكن الأمر يقتضى منا أن نقتبس التجارب والاجتهادات البشرية فى مجالات هذه الخصائص فى ضوء اطارنا القيمى · فنزنها بميزانه ونعايرها بمعياره ·

الحرية عندنا يحب أن يحكمها الخلق ، والتحرر عندنا لا يجب أن يرادف التبذل والانحلال · والعلم وتطبيقاته لا يجب أن يضرب فى وادى الشيطان وأن يسخر لانتهاك الحقوق والحرمات ، وانما العلم وتطبيقاته له قيمه واخلاقياته · والادارة العلمية واساليبها لا يجب أن تضحى بحرية الانسان ، ولا انسانية الانسان ، وانما ينبغى أن يحكم تطبيقاتها اطار القيم الانسانية العليا · والتخطيط العلمى عندنا لا يجب أن يتخذ من الشر طريقا يسلكه ، وانما ينبغى أن يحقق التخطيط العلمى اهداف الانسان

العليا ومثله السامية · والتربية العلمية ينبغى أن تستهدف بناء الانسان المسلم المؤمن بربه ، الواعى برسالته على الأرض المعمر لها وفقا لما سخره الله له ·

وعلى ذلك نستطيع أن نجد لهذه القضية اجابتها بكل بساطه على النحو التالى فنقول :

ـ نقتبس من غيرنا فى مجال التنظيم الاجتماعى الذى تجسدت فيه تشريعاتهم على أن نعيد تشكيل هذا التنظيم بحيث يساير قيمنا الاسلامية ·

ـ نقتبس من غيرنا فى مجال الادارة ، على أن نعيد تشكيل الأنظمة الادارية بحيث تعمر بكل قيمنا وترتوى بكل مبادئنا ، وتحتوى كل تشريعاتنا الاسلامية ·

ـ نقتبس فى التربية تجاربهم التربوية ، بحيث تتشكل اهداف التربية وفقا لأهداف ديننا ، وتتشكل طرائقنا ووسائلنا بقيم الاسلام · وتتشكل التشريعات التربوية وفقا لروح الاسلام ومبادئه ، وتتشكل المناهج والمحتوى التربوى وقد استبطنت وتمثلت المعرفة الاسلامية ، وأخذت بالاتجاهات والقيم والمهارات فى اطار الاسلام ·

وكما يدعونا الاسلام الى الأخذ عن غيرنا لكل ما هو صالح وصادق دون تزمت أو تحجر ، فانه فى نفس الوقت يحذرنا من الأخذ عن غيرنا دون تمحيص ودراسة وتفهم · بل يذهب الى أبعد من ذلك بأن يحذرنا مما يصدر عن كل من لا يدين بدين الاسلام · يقول الله تعالى : (ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم)(١)·

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ٧٣ ·

ما هى التحديات التى تواجهنا فى الحاضر ؟

تواجه بلادنا العديد من التحديات التى يمكن ذكر بعضها على النحـــو التـــالى :

التحدى الأول : فقدان الاطار الفكرى ، والفلسفة الشمولية المتكاملة، والأهداف الواضحة مرحليا ومستقبليا ٠

التحدى الثانى : معايشة ومعانقة التخلف الاجتماعى والثقافى ٠ والتناقضات العقائدية السياسية ٠

التحدى الرابع : قناعة بلادنا من الجانب الحضارى المادى باستهلاك ثمار التقنيات الغربية دون اقتحامها للأساسين : النظرى والتطبيقى لهذه التقنيات المتقدمة ٠

التحدى الخامس : تدنى مستوى الادارة والتنظيم فى مؤسسات بلادنا المختلفة التى تشكل بنيات النظم المجتمعية المختلفة ٠

التحدى السادس : تدنى مجموعة القيم المرتبطة بانسانية الانسان مستوى الواقع مثـــل قيم : الكرامة ، والحرية ، والعدالة الاجتماعية ، والمساواة البشرية ٠

التحدى السابع : تدنى الفـــكر الاقتصادى وتطبيقاته لدى غالبية الناس ٠

التحدى الثامن : تدنى مستوى المرأة عن الرجل ٠

التحدى التاسع : تدنى مستوى الخدمات التى تقدم للطفولة ٠

فاذا ما أردنا مناقشة هذه التحديات لاستطعنا أن نبلورها ، وأن نضرب بها الأمثلة من واقع بلادنا ، وأن نحدد الأسباب التى تكمن وراءها. وأن نحاول ذكر بعض المحاولات التى طرحت نظريا أو عمليا لمجابهتها ، وأن نحـــاول طرح بعض الحلول ـ التى نراها ـ لمواجهتها من واقـــع خبرتنا ، ومن واقع الخبرات التى يراها الآخرون ، وتجد قبولا لدينا ٠

ومناقشتنا لهـــا لن تكون منـــاقشة مستفيضة تخصصية بقـــدر

ما سنحددها كمشكلات وتحديات فى شكل مجسم يظهر علاقاتها بالتربية ·· وخاصة فى صياغة أهدافها ، وصياغة مناهجها ووسائلها ·

التحدى الأول : فقدان الاطار الفكرى ، والفلسفة الشمولية ، والأهداف الواضحة مرحليا ومستقبليا :

لكى يتضح معنى الاطار الفكرى ينبغى أولا أن نشرح هنـــا معنى الفلسفة الاجتماعية الشاملة · ونعنى بها هنا تلك المثاليات الواقعية التى يستطيع رجـــال الفكر فى أى مجتمع من المجتمعات صياغتها لتعبر عن آمالهم فى المستقبل ، وعن طموحاتهم فى الحـــاضر ، وعن مقدساتهم فى الماضى ·

والفلسفة الاجتماعية الناجحة هى التى تستوحى التاريخ والحاضر والمستقبل · لأن تاريخ أى مجتمع ـ ضمن التاريخ البشرى ـ يمثل الجهد البشرى فى تفاعله مع الحياة ومشكلاتها فى الماضى ، كما انه يحوى نتائج هذه التفاعلات من معرفة وعلم ومهارات ، واتجاهات وقيم ·

وهو مصدر الثقة التى تبنى الانسان فى المجتمع ، وتبنى ثقة المجتمع بنفسه · لأنه الأســـاس الذى يعتمد عليه كل من الانسان والمجتمع فى مواجهته لمشكلات حاضره . ويتطلع بها الى مستقبله ·

والحاضر يمد الفلسفة الاجتماعية بالخبرات الحياتية والمشـــكلات الآنية التى يتحتم على المجتمع أن يعايشها . وأن يسعى لحلها ·

والمستقبل هو الذى يهب الفلسفـــة مصدرا خصبا من الثراء فى الأمانى والآمال التى تشد المجتمع الى حفز الجهد والهمم ، واستخراج الطاقات الانسانية · وهو الذى يفتح الآفاق ، ويضفى جوا من الأمـــل نحو حياة أفضل ·

والفلسفة الاجتماعية الناجحة ـ فى نظريا ـ هى التى يكون لهـا اطارها الفكرى العـــام . الذى يحتوى على مجموعة المثاليـات والقيم والأفكار التى تجيب عن الأسئلة الكبرى فى الحياة ، وما بعد الحياة ،

والتى يجاب فى ضوئها على جميع مسائل ومشكلات وجزئيات الحيـــاة المختلفة · كما أنها تحتوى على المبادىء والمثل العليا مثـــل : الحرية والمساواة والعدل الانسانى · وهى تلك المبادىء الفطرية فى الانسان ·

وهذا الاطار الفكرى هو الذى يمثل الاطار المرجعى الذى يرجـــع اليه فى كل أمور الحياة للحكم عليهـــا بالصواب أو بالخطأ ، ومن ثم بقبولها أو برفضها ، وبالرغبة فيها أو الرغبة عنها ·

ويحتوى هذا الاطار الفكرى أيضا على مجموعة من المسلمات التى يفترض التسليم بها وقبولها منذ البداية ·

ثم تأتى الدرجة الثانية أو الصفة الأساسية الثـــانية للفلســـفة الاجتماعية السليمة علميا ، وهى أنها سلسلة منتظمة من الأفكار أو من النظم الفكرية سواء على المستوى الأفقى لها ، أو الرأسى فيها · وهـــذه السلسلة المنتظمة من النظم الفكرية تتســـم بالتكامـــل ، والتنـــاسق ، والشمول ، وعدم التناقض ، والتسلسل الفكرى المنطقى · بل ان جزئياتها ـ فى حد ذاتها ـ لا يجب أن تتناقض مع اطارها العام ، ولا مع مسلماتها والا انهارت الفلسفة من أساسهـــا ، وأصبحت غير مقبولة من الناحية المنطقية ، وغير مقبولة من الناحية الواقعية · لأن الواقع نفسه ســـوف يظهر أخطاءها وعيوبها ، وبالتالى تنعدم الثقة بها لدى الناس ، ولدى القائمين عليهـــا ·

ففى ظل الفلسفة الاجتماعية الواضحة تتحدد الأهداف الاجتماعية الواضحة فى المستقبل القريب ، وفى المستقبـــل البعيد · كمـــا تتحدد الغايات والوسائل والأساليب والخطط التى تحقق هذه الأهـــداف وتلك الغايات ·

وتصاغ تلك الأهداف لكل مناشط الحياة : السياسية ، والاقتصادية، والاجتماعية والتربوية ، والصحية ، والترفيهية ، والأمنيـــة · وتوزع هذه الأهداف على مستويات ومراحل وفقا للنظام الاجتماعى الذى حددت

له ، ووفقا للمؤسسات الاجتماعية التى تحتويها النظم الاجتماعية المختلفة فى المجتمع ·

كما تحدد الوسائل وتوضح الخطط والبرامج التى تحقق هـذه الأهداف بصورة عملية واضحة ·

وتتحدد الأفعال والأعمال ، وتقنن الاساليب والمهارات والاتجاهات والمفاهيم والقيم المرتبطة بكل عمل وبكل فعل وبكل خطة · وتوضح لهـا حوافزها ومكافاتها وتحدد عائداتها بدقة متناهية ·

وكلما كانت الأهداف والوسائل والخطط والأساليب والاعمال دقيقة وواضحة فى بدايتها واستمرارها ونهايتها التى تقصـدها ، استطاعت امة أن تخطو خطواتها نحو انجاز الأعمال ، وتحقيق الأهداف بأسـلوب محسوب بدقة · وكان وقتها محسوبا عليها بدقة ايضا ·

والفلسفة الاجتماعية اما الهية أرسلها الله سبحانه وتعالى الى عباده ليجيب عن كل الأسئلة التى شغلت وتشغل الانسانية على مـدى الحياة · وهى فلسفة اجتماعية شاملة كاملة متكاملة لأنهـا من عنـد الخالق سبحانه · وقد أرسلها الله لمخلوقاته ، وهو أعرف بهم وبطبائعهم وأفكارهم وامكاناتهم · ومن ثم فان كل ما تقـوم عليه هـذه الفلسفة الاجتماعية صحيح ، لأن أسسها ودعائمهـا ، ومسلماتها ، ومنطلقاتها صحيحة ·

واما فلسفة وضعية يحاول الفلاسفة والمفكرون صياغتها بديلا عن الفلسفة الاجتماعية السماوية · ومن ثم فهى غالبا ما تتعرض للتغيير ، والتعديل ، والتبديل ، والتصحيح ، لمـا يكون فيها من عدم ملاءمة للماضى والحاضر والمستقبل ولتعرضها للخطأ بصفة مستمرة ·

والفلاسفة والمفكرون يحاولون أن يجيبوا من خلالها على الأسـئلة التى تواجه الانسان كافة ، وأن يجدوا لمشكلات الحياة حلولا فى ضوئها ·· ويحاول الفلاسفة والمفكرون أيضا أن يقنعوا الناس فى المجتمع باتباعهـا

وتطبيقها · وقد يفلحون فى ذلك ، وقد يخفقون · وتظل الفلسفة تنتشر بين الناس حتى تجد فى بعض الحالات فرصة تطبيقها فتطبق · وما ان تطبق حتى يظهر فيها الخلل الكبير فى أثناء التطبيق ، بسبب الاختلاف الكبير بين تصورات الانسان وخياله الذى يرسمه لصورة المستقبل ، وبين الواقع المستقبلى نفسه الذى تفرضه الظروف ، وتظهر فيه تحديات لم تكن فى حسبان الفلاسفة والمفكرين · وسرعان ما يدعو رواد التطبيق لهذه الفلسفة أو لتلك بضرورة التمسك بها وتكييفها للمتغيرات الجادثة فى الحاضر ، وفى المستقبل · ومن هنا يظهر التعديل والتبديل الجوهرى والأساسى فى الفلسفة الوضعية الذى أشرنا اليه · وقد يظهر هذا التبديل ويفرض نفسه بعد فترة طويلة بسبب اصرار الرواد على ما فيها من مفاهيم وتصورات · ويكون التبديل كبيرا وخطيرا ، حتى لتبدو الفلسفة فى واقعها التطبيقى مغايرة تماما لأساسها النظرى ، خاصة اذا كانت هذه الفلسفة مبنية على أساس فهم خاطىء لطبيعة الانسان وطبيعة المجتمع ، ولطبيعة ثقافته التى ينتجها الانسان فى المجتمع البشرى · وهذا ما ظهر فى الفلسفات الشيوعية التى نادت ضمن ما قامت عليه من أسس بالتخلى عن الأسرة ، وعن الدين · وعلى الرغم من مرور ما يقرب من ثلثى القرن على تطبيقها فى روسيا السوفيتية فانها فشلت تماما أمام هذه النظم الاجتماعية التى لا غنى عنها فى حياة الجماعة البشرية ايا كانت الفلسفة التى تدين بها بأى حال من الأحوال ·

أما الفلسفات الاجتماعية الدينية فان لها صفة الدوام والبقاء والاستمرار ، خاصة اذا ما تجاوب الانسان معها وتجاوبت هى مع متغيرات الحياة وهى دائما تسمح بالتغيير ، وتحتضنه فى أطارها القيمى الثابت وفى اطارها الفكرى الشامل ·

ونتساءل الآن : هل لنا تلك الفلسفة الاجتماعية الموجهة لحياتنا ؟ وهل لنا هذه الأهداف والوسائل والخطط المبرمجة ؟ وبالتالى هل حققنا التقدم المنشود ؟

كلا : ليست لنا الفلسفة الواضحة ، والأهداف الواضحة ، والوسائل والخطط العلمية المبرمجة · ومن ثم نستطيع الآن أن نعرف لماذا نحن متخلفون فى كل شىء : متخلفون اقتصاديا ، واجتماعيا ، وخلقيا وتربويا ·

ولكن ما المظاهر التى نستدل منها على غياب تلك الفلسفة ، وتلك الأهداف والوسائل والخطط ؟

وما هو الطريق اليها ؟

اننا فى خضم الأخذ والاقتباس من فلسفات اجتماعية متعددة · منها ما هى فلسفات سماوية ، ومنها ما هى فلسفات وضعية ، قد ضاعت كل عوامل الربط بين ما اقتبسناه من الخارج ومن الداخل ، ومن الماضى ومن الحاضر · فحدثت تلك البلبلة الكبيرة وذلك الغموض الخطير فى حياتنا فلم نستطع فى ظلها أن نحدد أهدافنا بشكل ميسر وصحيح ، ولم نستطع أن نستغل وقتنا وامكاناتنا ومواردنا بشكل علمى سليم · وبالتالى لم نجن ثمارا ناضجة لحياتنا وامكاناتنا ومواردنا ، فتخلفنا فى كل شىء وسبقتنا البلدان الأخرى ·

ونحن الآن فى بلادنا قد تخلفنا هذا التخلف لأننا نفتقد الفلسفة الشاملة والاطار الفكرى الواضح والأهداف المحددة ، لأننا تركنا رسالات السماء ، وفلسفة الحياة الاجتماعية فى اطارها ، واقتبسنا من فلسفات عديدة معاصرة دون أن نصل فى النهاية الى تكييف متكامل لها فى حياتنا · وفى الوقت الذى ظلت فيه الفلسفات الدينية فى أعماقنا توجه كثيرا من أفعالنا ، الا أننا لم نكون لها مفهوما واضحا شاملا متكاملا · كما لم تكون للفلسفات المعاصرة نفس المفهوم الشامل الواضح · فاضطربت حياتنا ، ولم نستطع أن نحدد أهدافنا · وبالتالى لم نستطع أن نحدد وسائلنا وطرائقنا بطريقة علمية واضحة فتبدد جهدنا ، وقل عزمنا ، ونقص عائد أعمالنا ، فتخلفنا اقتصادية واجتماعية وأخلاقيا وتربويا ·

ان من أهم مظاهر غياب الاطار الفكرى ، والفلسفة الاجتماعية ، وبالتالى ضياع الأهداف وتحبط الوسائل ـ ذلك الخليط الضخم من القيم المتضاربة والاتجاهات المتصارعة ، والخطط المتناقضة ، والأفكار الغامضة التى نعالج بها قضايانا ، وننظر بها الى مشكلاتنا ، ونتخطى بها عقبات حياتنا ٠

ومن أهم نتائج هذا كله هو التخلف الاجتماعى والثقافى والصحى والاقتصادى والأخلاقى الذى أشرنا اليه ٠ وهو ذلك التخلف الذى يظهر فى كل شىء فى حياتنا ، سواء فى مستوى التقدم التطبيقى للعلم (التكنولوجيا) أو فى مستوى الاختراع والتقدم العلمى ، أو فى مستوى التقدم الاقتصادى ومستوى دخلنا الفردى والقومى ، أو فى مستوى التقدم القيمى والأخلاقى ٠

وفى اطار هذا التمزق الفكرى والاجتماعى ، وهذا التخلف بجميع أشكاله تمزقت فلسفتنا التربوية ، وضاعت منا القدرة على تحديد أهدافنا التعليمية ٠ وترتب على ذلك أيضا ضياع الخطط والوسائل والمناهج التربوية ، وتبديد الوقت والجهد والعزم ، ونقصان العائد التربوى بكافة أشكاله الكمية والنوعية والكيفية ٠

ان الطريق الى تحديد اطار قيمى سليم ، والى تحديد فلسفة سليمة ، والى تحديد أهداف على أسس علمية ، ورسم وسائل وأساليب على منهج علمى ـ هو الطريق الى اتخاذ الفلسفة الاسلامية طريقا ومنهجا وأسلوبا فى الحياة ٠

فليس هناك فى أية فلسفة وضعية مثل هذا الثراء القيمى الذى نجده فى الرسالات السماوية ٠ وليس هناك أخلاق واضحة مقننة ترسم مسارات محددة سليمة للأخلاق البشرية مثل الأخلاق التى وضعتها السماء للانسان ٠٠ فالله سبحانه وتعالى قد وضع الدستور الأخلاقى للبشر فى نشاطاتهم فى الحياة على أساس قدراتهم وامكاناتهم وطبيعتهم وأهدافهم فى الحياة الدنيا والحياة الأخرة ٠

وليس هناك فلسفة واضحة متكاملة شاملة متناسقة ، تقوم على أساس من المنطق والسلامة مثلما نجده فى الاســـلام ـ خاتم الديانات الســماوية ٠

وليست هناك أهداف واضحة محدد لحياة الانسان وغاياته القصوى منها مثلما هو موجود فى الاسلام ٠

وليس هناك منهج وأسلوب حياة مثلما يوجـد فى الاســـلام ٠٠ فالاسلام يرسم الاطار ، ويحدد الفلسفة ، ويجدد على أساسهما الأهداف والوسائل ٠ ويستطيع المجتمع والانسان فى ضوء كل هذه المحددات أن يرسم طريقه ، ويخطط ويبرمج حياته فى كل انشطتها ٠

فالاسلام تتحـــد به الصبغة الواضحة للمجتمع : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون)(١) ٠ واذا ما تحددت صـــبغة المجتمع ظهرت ملامحه ، ووضحت فيه الرؤية ، وظهرت فيه الزوايا والأبعاد والاتجاهات ، وتحددت المواقف ، وسهل تقنين السلوك الأخلاقى ، والسلوك العملى لكل نشاط انسانى ، وانتظم ايقاع الحركة فى المجتمع ، وزادت سرعتهـــا ٠

وكما تتحدد بالاســـلام الصبغة الاجتماعية والنظرية الاجتمـاعية للمجتمع المسلم تتحدد النظرية التربوية الاسلامية ٠ وهى تلك النظرية التى أشرنا اليها من قبل ٠ وفى اطارها تتحدد أهداف التربية ومثالياتها وقيَمها ، كما تتحدد الوسائل والخطط والمناهج التربيوة ، ويسهل صياغة محتوياتها مما احتواه الاســـلام من مثاليات ومبـادىء وقيم وموجهات للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأسرية ٠

التحدى الثانى : معايشة ومعانقة التخلف الاجتماعى والثقافى ٠

التخلف ظاهرة راسخة فى أمتنا ، وان كانت غير أصيلة فيها ٠

---

(١) سورة البقرة ـ الآية ١٣٨ ٠

وهو موجود بكل اشكاله وانواعه الاجتماعية والثقافية ، والاقتصادية · ومظاهره كثيرة وأمثلته متنوعة ، ونتائجه واضحة ·

فتشبثنا بعادات وتقاليد لاتتناسب مع المتغيرات الحضارية المعاصرة مظهر من مظاهر هـذا التخلف الثقافى ، وسيطرة كثير من المفـاهيم الاجتماعية والاقتصادية غير العلمية على حياتنا مظهر آخر من مظاهر هذا التخلف · وفى النهاية نجد النتائج واضحة وهى تأثر وانخفـاض واضح فى عائدات العمل الاجتماعى والاقتصادى ، وتدن فى الاسـلوب الادارى والتنظيمى فى مواقع العمل والحياة كافة ·

واقامة حياتنا على العفوية والمبادرات الاجتهادية من الأشـخاص على غير أساس من الدراسة والبحث العلمى ، وخارج اطار شامل لخطة تنمية متكاملة يجعـل حياتنا متخلفة عن مواكبة عصرها ، فى وقت غدت فيه العلمية اسلوبا اساسيا من أساليب حياة كثير من المجتمعات العلمية ، المعـاصرة ·

وانتشار الأمية وبلوغها نسبة عالية غير منطقية ، وبالتالى غـير مقبولة فى عصرنا ـ اذ تبلغ أكثر من ٦٠٪ من عدد سكان المجتمع ـ نوع من التخلف الثقافى والاجتماعى الرهيب فى هذا العصر · ففى الوقت الذى تفخر فيه بعض المجتمعات المتقدمة بان نسبة الأمية فيها دون العشرة، نجد نسبتها عندنا مخجلة على النحو المشار اليه ·

ونسبة الأمية المرتفعة هذه مسئولة الى حد كبير عن مظاهر تخلفنا الحضارى · فهى مسئولة عن عدم تفقهنا فى ديننا ، ومسئولة عن عـدم قدرتنا على تعمير دنيانا على النحو الذى ارتضاه لنا الخالق الأعظم · فالأمى لا يستوعب حقائق العلم وتطبيقاته فى أوجه الحياة كافة ، ومن ثم فهـو غير قادر على اكتشاف حقـائق الطبيعة ومظـاهرها وقوانينها واستثمارها فى واقع الحياة ، وبناء عالم متحضر · وهذا هو السبب فى اننا نعيش على ثمار الحضـارة الغربية نقطفها متى نضجت · فنقتنى السيارات ، والتليفزيونات ، والأجهزة الكهربائية والالكترونية العديدة ، والطائرات · وكلها من نتاج العقلية الغربية المبدعة · وهذه الحالة تشير الى شىء حقيقى قد يقول به البعض وهو أن العقلية الغربية عقلية مبتكرة

وعقليتنا ليست كذلك · ولكن السبب الحقيقى يكمن فى أمور خاصة بالأمية ، والتخلف الذى فرض علينا ولسنا أهلا له ، · فهلا استيقظ وعى الأمة الاسلامية وعادت اليها روحها الوثابة . وهلا استقامت حياتها وفق أخلاق الاسلام الحنيف وحوافزه ودوافعه الانسانية القوية الراقية !!

ان هذا التحدى هو تحد تربوى بالدرجة الأولى ، يضع التربية أمام مسئولياتها فى بناء العقلية المبدعة والمبتكرة على أساليب البحث العلمى وعلى أخلاقياته ، وعلى حوافزه ودوافعه الناشئة أساسا من رسالة الانسان على هذه الأرض · فهو خليفة الله عليها لعمارتها بتلك العقلية المبدعة المفكرة ·

ومن هنا نستطيع أن نحدد أهداف « تربية الانسان المسلم » فى حياته كلها · كما نستطيع أن نحدد أهداف تدريس كثير من التخصصات المدرسية فى مراحل التعليم المختلفة · كأن نحدد أهداف تدريس الدين ، وأهداف تدريس العلوم بفروعها المختلفة ، وأهداف الانسانيات بتخصصاتها المتعددة · نقول نحددها بحيث يحتل هدف تنمية « التفكير العلمى » ، وتنمية العقلية العلمية المبدعة لدى أبناء أمتنا الاسلامية مكانا رئيسيا فى الأهداف التربوية ، بحيث ترتبط هذه الأهداف برسالة الانسان على الأرض · تلك الرسالة التى حددها الاسلام لهذا الانسان ، وهى عمارة الأرض كما أشرنا بما سخرة الله من ظواهر كونية وقوانين طبيعية ، وبما منحه الله من عقل قادر على الاكتشاف والابتكار والتطبيق فى مجالات الحياة المختلفة ·

التحدى الثالث :

الاضطرابات القيمية ، والصراعات الفكرية ، والتناقضات العقائدية السياسية ·

تموج حياة أمتنا بقيم متضاربة متصارعة ، وأفكار متناقضة متعارضة وعقائد سياسية متباينة تخفى وراءها كثيرا من العداوة لتاريخ هذه الأمة وميراثها الثقافى ·

ولقد ظهرت هذه القيم والأفكار المتصارعة والمتضاربة ، والعقائد

السياسية المتباينة فى هـذا العصر ، تعلن عن نفسهـا فى صورة أحزاب وجماعات ، وفى صورة قادة وزعماء يدعون الانتماء لهذه الأمة وتراثها ، وثرواتها الفـكرية والدينية · وهم فى واقع الأمر بعيدون عن روح هذه الأمة وأهدافهـــا ·· يتسببون فى عرقلة مسيرتهـا · ويبددون كثيرا من طاقاتها ·· ويضحون بالصفوة من أبنائها الأذكياء المخلصين لهـــا أما باضطرارهم لهجـرة أوطانهم ، وأما بعزلهـم فكريا وسياســيا · ذلك لأنهم عقبـــة فى سبيل تحقيق أهـدافهم والتمكين لعقـائدهم السياسية واتجاهاتهم الخفيـة · ولســـنا فى حاجة الى أن نضرب الأمثلة لهـذه الأمور ، فهى واضحة للعيـان ، يمتلىء بهـا تاريخنا الفكرى والسياسى المعاصر · ويمتلىء بها واقعنا الاجتماعى الحاضر ·

فما أحوجنـــا ـ علاجا لهـــذه الاضطرابات القيمية والصراعات الفكرية والتناقضات العقائدية السياسية الى أن نلتف حـول « عقيدتنـا الاسلامية » · فهى أم لأنبـل القيم وأسلسها ، وأكثرها اتفاقا مع طبيعـة الانســان وفطرته ، ومع طبيعة الحيـاة الاجتماعية ، وتلقائيتها · وما أحوجنا الى هـذا الاطـار الاسلامى لكى يتوحد به الفـكر ، ويتمـاثل السلوك ، وتندمج الأمـة وتترابط · وتتحد وتتماسك · فيختفى الصراع الفكرى والعقائدى والقيمى من حياة أمتنا ·

وهـذه الوحـدة الفكرية ـ العقـائدية ـ الاجتمـاعية لها مغزاها التربوى ، ولها دورها فى تحديد أهداف التربية فى اطار النظرية التربوية فى الاسلام ·

فتربية المسـلم عقائديا يحقق له وضوح الهدف والغـاية ، ووضوح الوسائل ووضوح المنـاهج والطرائق · وكل ذلك يوحد الفـكر والسلوك بين أبنـاء الأمـة ، فيختفى الصـراع والتناقض الفـكرى والاجتماعى والسياسى · ومن ثم تتوحد الأمة ويتحقق تماسكها على نحو ما سنناقشه فيما بعد ·

التحدى الرابع :

قناعة بلادنا من الجانب الحضاى المادى باستهلاك ثمار التقنيات الغربية دون اقتحامها للأساسين : النظرى والتطبيقى ، لهذه التقنيات المتقدمة :

لقد ورثت بلادنا رصيدا ضخما من التخلف · وعلى الرغم من خطط التنمية ، التى وضعتها البلدان النامية ، ومنها بلادنا ، وعلى الرغم من المشروعات الاقتصادية الكثيرة التى أقامتها هذه البلدان فانها (هذه المشروعات) ظلت قاصرة عن تحقيق مستوى الطموح الذى طمحت فيه هذه البلدان ، بل عجزت عن تحقيق الحد الأدنى للاستهلاك فى المجالات المختلفة ·

ولا يجب أن يفهم من كلامنا هذا أن المشروعات التى أقيمت كانت من ذلك النمط الجسور الثقيل القادر على اقتحام مراحل متقدمة من التكنولوجيا الحديثة · وانما اتسمت هذه المشروعات باقتصارها فى الغالب على المستويات البسيطة منها ·· فهى لم تقتحم بعد مجال الصناعات الثقيلة فى مجال التسليح ، ولا فى مجال مركبات النقل والطائرات ، ولا فى مجال السفن الضخمة والغواصات ·

وقنعت البلدان النامية ، ومنها بلادنا ، حتى اليوم باستهلاك ثمار التقنيات الغربية دون اقتحامها للأساسين النظرى والتطبيقى لهذه التقنيات · وهذه الصفة لا تقتصر على مجال دون آخر من مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى والخدمات · وانما نراه فى الزراعة ، وفى الصناعة ، وفى التجارة ، وفى التعليم ·

وان كانت مسئولية ذلك يمكن أن تتحدد فى الأطر التنظيمية والسياسية والادارية ؛ الا انها تتحدد أكثر وبصورة مباشرة بالاطار التربوى وتنظيماته ومناهجه ومؤسساته والقائمين به وعليه ·

ـ فالتربية تعوزها الأهداف الواضحة المحددة والموزعة على مستويات التربية والتعليم المختلفة · وذلك لتنمية وتنشيط عوامل

الابتكار والاكتشاف لدى أجيال الأمة الاسلامية · وربط هذه العوامل برسالة الانسان على الأرض كما حددها الاسلام كما ذكرنا من قبل · وربطها برسالة الأمة الاسلامية ذاتها فى قيادة الحياة على هذه الأرض · ولا تكون القيادة ولا تتم الا بالامساك بزمام الأمور المادية فيها ، تماما مثل امساكنا بأفضل القيم والمثل والمبادىء · فالقيم والمثل والمبادىء تحتاج الى جانب قوتها الذاتية المستمدة من منطقيتها ومن تجاربها من طبيعة الانسان والمجتمعات ـ الى قوة مادية اقتصادية وحربية لصيانتها وحمايتها ونشرها · وصدق الله العظيم اذ يقول : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)(١) ·

ـ كما تعوز التربية مناهج وطرائق ووسائل تعمل كلها فى خدمة تحقيق هذا الهدف وبنائه فى اجيال ، وجعله روحا عامة تسرى فى حياة المجتمع كله ·

ـ كما تحتاج فى النهاية الى « مربين » على جانب كبير من النشاط ، والحماس ، والفهم ، والمقدرة على بناء هذه الروح فى أبناء الأمة الاسلامية ·

التحدى الخامس :

تدنى مستوى الادارة والتنظيم فى مؤسسات بلادنا المختلفة التى تشكل بنيات النظم المجتمعية المختلفة وانعكاس ذلك على الادارة التربوية :

ـ تدنى المعرفة بالأساليب العلمية فى مجال الادارة ، ومن ثم فقدان العناصر الأساسية لها فى اثناء الممارسة الادارية تخطيطا ، وتنفيذا ، ورقابة ، ومتابعة ، وتقويما ·

---

(١) سورة الأنفال ـ الآية ٦٠ ·

ـ تدنى مستويات الكفاية ، والفعاليـة ، والانتاجية ، والانتاج فى المؤسسات الاجتماعية المختلفة ومنها التربية ٠

من المسلم به أن الادارة التربوية جزء من كل ٠ وهـذا الكل الذى يضمهـا فى أحضانه هو الادارة العـامة ٠ وهذ الادارة العامة بدورها تعمل فى اطـار اكبر وأوسع وأشـمل هو المجتمع بكل ما يحويه ، وبكل ما يصبغه من نظام سياسى ونظرية اجتماعية ٠

ومن المسلم به أيضـا أن الجزء يرتبط بالـكل ارتباطا عضويا فى حركته ونموه وفى خصائصه وقوته ٠

ومن هنا فان ما يصيب الادارة التربوية من قصور وعيوب لا ترجع فقط لذاتيتها ؛ وانما ترجع بالدرجة الأولى الى ما فى هذا الكل من مساوىء وقصور ٠ ولعـل العلاقة فى الاتجـاه الآخر أيضا طردية ٠ فما يصيب الادارة التربوية من تحسن أو نكوص يصيب هو الآخـر ذلك الـكل الذى يشملها ويحتويها ٠

نظرة على الادارة العامة فى بلادنا :

لقد ورثت بلادنا تركة مثقلة بهموم الادارة وسلبياتها ، وقصورها عن مواكبة العصـر ، ومتطلباته ٠ وتمثل هـذا القصور فى عجزها عن أن تستوعب مفاهيم الادارة العصـرية ، وتكنولوجيتها العلمية ، وحجم حاجاتها الحقيقية سـواء من حيث متطلباتهـا البشرية ، أو حجم المعرفة العلمية المطلوبة لها ، أو وزن الاعداد والتدريب الذى تحتاج اليه ٠

وعجز بلادنا عن استيعاب مفاهيم الادارة العصـرية يتمثل فى عدم قدرة الادارة على استيعاب المعانى والقيم الانسانية للادارة الديمقراطية ٠ فالديمقراطية كأسلوب تجـد نفسها مجسـدة اذا ما استوعبها المجتمع فى أساليب حيـاته وادارته ٠ ففى ادارته تتحقق الديمقراطيـة اذا مـا استبطنت العلاقات الاجتماعية بين الحـكام والمحكومين ، وبين الرؤساء والمرءوسين معانى الاحتـرام والمحبة والتعاون المشترك من اجـل انجاز

الأعمال المختلفة · وقبلهـا اسهام الجميع فى المؤسسة فى اتخاذ القرار ، كل على حسب موقعه وقدراته ·

أما قصـور بلادنا عن استيعاب تكنولوجيا الادارة العلمية فتتمثل فى عدم مقدرتهـا عن توظيف مواردها البشرية والطبيعية والعلمية بحيث تحقق أكبر عائد منها بأقل جهد ، وفى أقل وقت ، وبأدنى انفاقات ممكنة · وتحقيق صيغة هـذه المعادلة يحتاج الى تمكن من أساليب الادارة العلمية ، كما ترجع الى مقدرة فائقة على تطبيقها فى مجال اتخاذ القرار ، وتنفيذه ، ومتابعته ، وتقويمه · وهـذا هو معنى تكنولوجيا الادارة · فيخطىء من يظن أن تكنولوجيا الادارة هى مجـرد استخدام أجهزة التكنولوجيا الحديثة ، من كمبيوتر وخلافة ، فى الادارة المؤسسات المختلفة · هـذا وان كانت هـذه الأجهزة هامة جـدا فى تحقيق فعاليـة الادارة وكفايتها واهدافها بالصيغة السابقة ·

ويخطىء بالتـالى من يرادف بين تكنولوجيا الادارة واسـتخدام الآلات فى أعمال الادارة المختلفـة · ويمكن القول فى هـذا العـدد بأن القصد من تكنولوجيا الادارة هو الأساليب والطرائق العلمية التى تشكل أنماط التقنيات الادارية · فبهـذه الأساليب والطرائق تتخـذ القرارات ، وتصدر الأحـكام ، والتنظيمات المختلفة فى مجـال التخطيط ، والتنفيذ ، والمتابعة ، والتقويم الادارى لأى عمـل من الأعمال فى أى مؤسسة من المؤسسات ·

وقصـور الادارة التربوية العلميـة عن استيعاب الأسـاليب التى تتحقق بهـا فعالية وكفاية التعليم تمثـل قصورها الحقيقى ، وتخلفها ، وعجزها عن أن تصبح ادارة عصـرية قادرة على مواكبة اساليب العصر الادارية ، كما توضح سبب عـدم مواكبة التربية التى تتحمل مسئوليتهـا لهذا العصر ، وللعصور الآتية ·

فمن الواضح أن التربيـة فى بلادنا لا تستخدم أساليب التكنولوجيا الحديثة فى أى من عملياتها التى اشرنا اليها · ولعـل ذلك من الأسباب

الرئيسية لانخفاض مستوى كفايتها ، وفاعليتها ، وانتاجيتها عن المعدلات المعاصرة ٠

فهى لا تستخدم أسلوب « تحليل النظم Systems Analysis » ، ولا بحوث العمليات فى مجال اتخاذ القرارات التربوية ٠ ولا تستخدم « طريقة دلفى » ، ولا أساليب ، التنبؤ والاسقاط فى مجال اتخاذ القرارات العلمية للتخطيط التربوى فى المستقبل ٠ ولا تستخدم أسلوب « بيرت » فى تقويمها للمشروعات التربوية ومراجعتها ٠ وما الى ذلك من الأمور ، مما يجعلها تعيش فى اطار تنظيم ادارى تقليدى غير متطور ٠

التحدى السادس :

تدنى مجموعة القيم المرتبطة بانسانية الانسان على مستوى الواقع مثل قيم الكرامة ، والحرية ، والعدالة الاجتماعية ، والمساواة البشرية ٠

ـ فقدان غالبية السكان للوضوح الفكرى الخاص بمفاهيم هذه القضايا الانسانية ٠ فقد يرددها البعض دون هضم لمضامينها ، وجوانب ممارساتها المختلفة ، وسبلها ٠

ـ ضياعها فى مجال التطبيق ، خاصة على يد القادة فى ميادين الحياة المختلفة ٠

ـ استهدافها لكثير من الأفكار الغازية التى تزيد من اضطرابها وصراعها فى داخلها ٠

هذا التحدى وليد مباشر لفقدان الاطار الفكرى الواضح ، والفلسفة الاجتماعية الشاملة وفقداننا للاسلام موجها لحياتنا ، ومحددا لاطارنا الفكرى ، وناسجا لفلسفتنا الاجتماعية الشاملة ـ هو السبب فى تدهور القيم المرتبطة بكرامة الانسان وحريته ، وبفقدان العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس فى واقع الحياة الاجتماعية والسياسية ، وعدم وضوح هذه القضايا فى أذهان الناس تسبب فى اضطرابها فى مجال

السلوك الاجتماعى · فقـد يردد البعض شعارات : الحرية ، والمساواة ، والعـدالة ، دون هضم حقيقى لمضامينهـا ، ودون تعرف جـاد لسـبل ممارستها ·· وقد يردد القـادة والسّاسة هذه المبادىء دون نية صادقة فى تطبيقها ، خاصة حينما يتولون زمام الأمور ومقاليد الحكم ·

ولقد زاد من ضياع هذه المبادىء ، وتلك القيم الانسانية ما استهدفته الاجتهـادات البشـرية فى صلب النظريات الاجتمـاعية المعاصـرة ، وما تعرضت له هذه الاجتهـادات من أخطـاء بسبب الهوى الانسانى · فهذه المبادىء تفقد أصالتها،ومغزاها الحقيقى فى اطار النظرية الماركسية مثلا ، فضلا عن فقدها لهما فى اطار النظرية الرأسمالية أيضا والنظريات الاستعمارية التى عاشت فى أحضانها وانبثقت منها ·

ولقد تأثرنا بوعى أو بلا وعى ، وبقصد وبدون قصد بهـذه الآراء الواردة من تلك النظريات ، خاصة بهـذه المبادىء وتلك القيم ·· فحدث الاضطراب والصراع القيمى فى مجالها بشكل مزق الوحدة الاجتماعية لجماعتنا ، ومزق الشخصية الانسانية فى داخلها ، فعشنا ـ فى غيـاب القيم الاسلامية ـ حياة ممزقة لارابط فيها ، ولا ماسك لزمامها ، ولامجمع لأجزائها · وان كان لابد من وحدة الفكر ووحدة الجماعة ووحدة الانسان وتماسكه فى داخل نفسه وداخل جماعته ـ وهذا مما ليس منه بد ـ فلابد من تمثل قيم الاسلام ومبادئه فى الحرية والاخاء ، والمساواة والعـدل الاجتماعى ، وتنشئة ابنـاء الأمة الاسلامية عليها ، وتربيتهم متمثلين لمكوناتها الأساسية · وهذا يحدد لنا مساحة هامة فى الأهداف التربوية والمنـاهج الدراسية والطرائق التعليمية والـكتب المدرسية لتبنى هـذه المبادىء وتلك القيم من أجل بناء الانسان ·

التحدى السابع :

تدنى الفكر الاقتصادى وتطبيقاته لدى غالبية الناس :

ـ انخفاض مستوى المعـرفة الاقتصـادية العلميـة لـدى غالبية النـاس ·

ـ انخفاض مستوى الممارسات الاقتصادية فى مجالات الزراعة والصناعة والعمليات التجارية المختلفة ٠

ـ انخفاض مستوى الفن الاستهلاكى لدى غالبية الناس ٠

ـ انخفاض مستوى التطبيق للمعرفة الاقتصادية فى الممارسات المختلفة التى يمارسها الناس فى المهن المختلفة ٠

اننا فى مجال الفكر الاقتصادى وتطبيقاته ، نجد امتنا الاسلامية مازالت تائهة ، ومازالت حائرة بين اتجاهات اقتصادية بدائية ورثتها من عهود التخلف الحضارى والاقتصادى ، وبين اتجاهات اقتصادية تفد اليها من ثقافة مغايرة لثقافتها ، ومن اطار حضارى مناقض الى حد كبير لكثير من قيم الاسلام ومفاهيمه الاقتصادية ٠ هى حائرة بين مفاهيم ورثتها من مرحلة الفقر الاقتصادى ، ومفاهيم ترد اليها مع الغنى والثراء المادى فى ارتباطه بسياسات الغرب المادية ٠٠ وهى فى حيرتها قد تتسلل لها كثير من المفاهيم والممارسات الاقتصادية المغايرة لروح الاسلام ومفاهيمه وقيمه ٠ وأقرب مثال على ذلك تأثرها فى الاقتصاد بالأساليب التى يتبعها مرابو اوربا فى البنوك والشركات ، والمعاملات والتبادلات النقدية ، اللهم الا فى قليل من هذه المعاملات ٠

وهذا كله يرجع بالدرجة الأولى الى انخفاض مستوى المعرفة الاقتصادية العلمية لدى غالبية الناس ، وعدم قدرة مفكرينا الاقتصاديين ـ حتى الآن ـ على أن يحددوا اطارا واضحا وأساليب واضحة لاقتصاد اسلامى يطبقه الناس فى حياتهم الاقتصادية ، وفى معاملاتهم التجارية والانتاجية ، وتطبقه الحكومات المسئولة بنفس الروح الاسلامية والالتزام الاسلامى ٠

هذا الى جانب أننا امة ممزقة اقتصاديا ، ولا تستطيع أن تستثمر مواردها الطبيعية والبشرية استثمارا عاليا يتكافأ مع رسالة الانسان على هذه الأرض وخلافته لله عليها ٠

اننا نتساءل في هذا الصدد :

هـل استثمرنا الأراضي الزراعيـة الشاسعة الممتـدة على جانبي النيل ؟ هـل استثمرنا الأراضي الزراعية الشاسعة الممتـدة على جانبي دجلـة والفرات ؟ هـل استثمرنا الموارد الصخرية والجبليـة في بلادنا في مصـر وفي شـبه الجزيرة العربية ؟ هل اسـتثمرنا الموارد النهرية والبحرية لدينا ؟ هل استثمرنا الصحارى الممتـدة الشاسعة في بلادنا ؟ وهل استثمرنا الموارد البترولية والمعدنية المختلفة فيهـا ؟ هل استثمرنا امكانات السياحة لآثارنا ؟ هل استثمرنا امكانات الصناعة لخاماتنا ؟

اسئلة كثيرة تحتاج الى اجابة ، والاجابة تكمن في مـدى وعينـا بطرق وأساليب الاستثمار نظريا وعمليا · قـد نعرف هذه الأسئلة كلها · معرفة نظرية ولكننا لا نعرفها معرفة تطبيقية تسهل لنا وتوضح وسـائل استثمارها وذلك يرجع الى تدنى مستوى المعرفة الاقتصادية التجريبية · وهو بعكس نفسـه في تدنى مستوى الممارسات الاقتصادية في مجالات الزراعة والصنـاعة والعمليات الاقتصادية والتجـارية المختلفة · كما يعكس نفسـه في انخفاض مستوى الممارسات الاقتصادية التي يمارسها الناس في المهن الاقتصادية المختلفة ·

واذا اضفنـا الى انخفاض مستوانا في الانتاج انخفاض مستوانا في سـبل الاستهلاك ، وفي نظرتنا اليـه لأدركنا اننـا عالة ومبـددون كالدودة الشريطية التي لا تنتج ، وانما تنتظر ان يأتيها غـذاء الانسـان جاهزا فتعيش عليه وتستهلك غالبيته ·

هـذا تحد كبير لامتنا · وهو تحـد كبير للتربية فيها · فالمسئولية الأولى والأخيرة ترجع الى طرق تنشئتنا ، والى طرق تنشئتنا لاطفالنا ·

لقـد نشأنا في بيئات فقيرة في كل شيء : في العلم ، وفي الفكر ، وفي الاقتصـاد ، وفي المعرفة المرتبطـة به ·· وفاقد الشيء لا يعطيه · فنحن الآن ننشيء أطفالنا على هذا الفقر الفكري والعلمي والاقتصادي ··

وما احوجنا الى تربية تتحدى هـذه المشكلة بالحل العلمى السليم لتقدم لأبنائنا اهدافا تربوية ، ومناهج ووسائل تعليمية ينشئون بمقتضاها على أسس من المعرفة الاقتصادية العلمية السليمة · فاذا مارسوا الحياة وقد تسلحوا بها فسيواجهون كل القضايا والمسائل الاقتصادية بمهارات ومعرفة علمية فلا يقهرون امامها ، وانما يتغلبون على كل صعب مرتبط بها ·

التحدى الثامن :

تدنى مستوى المرأة عن الرجل :

ـ فى مجال الممارسات المختلفة التى يمارسها الرجال من رياضة وفروسية وعسكرية ·

ـ فى مجال التعليم ·

ـ فى مجال الاسهامات السياسية والاجتماعية ·

ـ فى مجال المهن والاقتصاد ·

يقول الله تعالى : (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)(١) ·

والمستطع لحياتنا وواقعنا الاجتماعى يجد أن الرجل متخلف عن النهوض بأعباء الرسالة الملقاة عليه ، والصلاحية فى القيام بالأعمال المنوطة به على المستوى الأفضل والأعظم بالنسبة لغيره من البلدان المتقدمة ، أما المرأة فانها تتفوق على الرجل فى هذا التخلف فهى لا تمارس الأعمال المختلفة التى يمارسها الرجال من رياضة وفروسية وعسكرية وغيرها الا فى نطاق ضيق جدا ، جعل نصف الأمة عالة على نصفها الآخر من الرجال فى هذا المضمار · كما أن نسبة المتعلمات فى امتنا الاسلامية ضئيلة جدا بالنسبة للرجال ، وترتب على ذلك احجامها عن

---

(١) سورة النحل ـ الآية ٩٧ ·

الاسهام فى المجالات السياسية والاجتماعية ، وفى مجالات المهن الاقتصادية المختلفة الا فى حدود ضيقة جدا ٠

فاذا كانت المراة هى النصف الثانى فى المجتمع ، وهى الشق الثانى للحياة الانسانية ، وهى مربية الأجيال ؛ فان ذلك التدنى فى تعليم المراة وفى مجالات اسهاماتها فى الحياة ليعتبر تحديا كبيرا يواجهنا فى النهوض بواقعنا ، وفى الارتفاع بمستواه ٠

وتدنى الواقع الاجتماعى والسياسى والثقافى للمراة ليس له سبب فى تراثنا وقيمنا ٠ بل على العكس من ذلك لقد أعلى الاسلام شان المراة وجعلها اما وزوجا واختا وبنتا ، ذات مكانة سامية لا تقل عن الرجل فى شىء ٠

ولذا خاطب القرآن الكريم المراة كما خاطب الرجل فقال : (ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما)(١) ٠

فهى كام يوصى بها الاسلام ، يقول الله تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)(٢) ٠

واذا كانت بنتا فلا تزوج الا باذنها واستشارتها ، ورغبتها فيمن تتزوج ، فلا تكره على الزواج بمن لا تريد الزواج منه ٠ فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تنكح الايم حتى تستامر ، ولا تنكح البكر حتى تستاذن ٠ قالوا يا رسول الله : وكيف

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٥ ٠
(٢) سورة الأحقاف ـ الآية ١٥ ٠

اذنها ؟ قال : أن تسكت »(١) ٠

ونظرة الاسلام للمرأة عامة نظرة احترام وتقدير ٠ فلقد حررها ورد اليها كرامتها واعتبارها ٠ وجعلها متساوية مع الرجل فى الحقوق والواجبات المعنوية والمالية ، الا فى أمور يسيرة جدا يقتضيها الفرق الواضح بينهما فى الطبيعة ، وفى طبيعة الأدوار التى يقوم كل منهما بها ٠ فالمرأة أمام الواجبات الدينية ، والفروض والتكاليف الشرعية شقيقة الرجل تصلى وتصوم وتحج وتزكى ، وتخرج للجهاد والدفاع عن الوطن ، وتبيع وتشترى ، ، وتؤدى أي عمل تشاؤه من زراعة ، وصناعة ، وتعليم وغيره ٠ وفى هذا يقول الله تعالى ٠

(٠٠ أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى ، وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ، ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب)(٢) ٠

والاسلام ينظر الى الرجل والمرأة على أنهما المكونان الأساسيان للمجتمع وللأسرة ٠ فلا تكتمل الأسرة الا بهما ، ولا تتكون الجماعة الا منهما ٠ ويردهما الله تعالى الى نفس واحدة ٠٠ يقول سبحانه وتعالى فى هذا المعنى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا)(٣) ٠

ولذلك فان للحركة الاجتماعية المنسجمة التى تتحرك بها المجتمعات نحو التقدم تقتضى تلازم حركة النساء مع حركة الرجال فى السياسة والحرب والاجتماع والاقتصاد والتعليم ٠ وهذا من شأنه أن يحدد تحديا

---

(١) البخارى كتاب النكاح ٠
(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٩٥ ٠
(٣) سورة النساء ـ الآية ١ ٠

خطيرا نواجهه فى بناء أمتنا التى تخلف فيها النصف الآخر عن الرجال فى التعليم · فنشأ بسبب ذلك تخلف فى قدرتهـــا على ممارسة أنشطة الحياة السياسية والاقتصادية والحربية فى درجة متكافئة مع الرجل ، ومع مكانتها التى خلقها الله من أجلها ·

ألا ترون أن ذلك تحـد كبير يحتاج منا الى أن تتساوى أعـــداد الجنس الآخر فى المدارس وفى الجامعات مع الرجال ؟ وأن نوجد للمرأة بعد تعليمها فرصا متساوية مع الرجال فى مجالات الحياة المناسبة لها ، وأن ذلك يتطلب أن تتضمن التشريعات التربوية والأهداف التعليمية محتوى مناسبا لتعليم المرأة لكى تتمكن من تأدية رسالتها فى الحياة كأم(١) ، وشريكة للرجل فى شتى مجالات الحياة فى اطار من القيم الاسلامية ، التى حددها الاســـلام للمحافظة عليهـا وعلى الأسرة ، وعلى الابنـاء مملكتها الرئيسية ·

التحدى التاسع :

تدنى مستوى الخدمات التى تقدم للطفولة :

- فى مجال التعليم والتربية ·
- فى مجال الخدمات الرياضية المختلفة ·
- فى مجال الرعاية الصحية ·
- فى مجال التربية عن طريق أدب الأطفال ولعب الأطفال ·
- فى مجال الرعاية البديلة للأم العاملة والأم الجاهلة ·

من الأمور المسلم بها أن العناية بالطفولة أمر لا يعدله أى شىء ، فالطفولة هى صانعة المستقبل · ذلك لأن أهم مرحلة فى عمر الانســان

---

(١) من هنا تأتى أهمية الأخذ بيد المرأة والنهوض بها لمـا لها من تأثير فى أبنائها ومن ثم فى المجتمع ، وقد فطن الشاعر العربى لذلك المعنى فصاغه فى البيت التالى :

الأم مدرسة ذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق ·

هى مرحلة الطفولة · فهى أساس بناء الإنسان · والأسلوب الذى نعالج به الطفولة يدل على مدى إدراكنا لأهميتها فى بناء التقدم فى مستقبل الأمة ·

وتهتم الدول الواعية بالطفولة اهتماما بالغا · فهى تقدم لها أفضل تعليم ممكن من خلال دور الحضانة ورياض الأطفال ، تقدم لهما برامج تربوية ، ورياضية ، وموسيقية من خلال أبنية ضخمة ، تضم صالات للعب والموسيقى والرسم والاستحمام ·

كما تقدم لها برامج للرعاية الصحية والطبية ، وللأغذية الجيدة · وفوق كل ذلك فهى تمتنى عناية فائقة بأدب الأطفال ، ولعب الأطفال التربوية · وبذلك تصبح المدرسة مكانا جذابا للأطفال ، ومكانا ممتعا لهم، ينمون فيه نموا صحيا وعقليا وجسميا ونفسيا وروحيا كبيرا ، فيشبون أسوياء صالحين لبناء مستقبل أمتهم · كما تصبح المدرسة مكانا للرعاية الشاملة من جميع النواحى ، ومكانا بديلا للمنزل ، خاصة فى حالة الأم غير المثقفة ·

فماذا نقدم فى بلادنا من هذه الرعاية لأطفالنا ؟

سؤال يجيب عنه الواقع التربوى فى بلادنا العربية · ان الغالبية العظمى من البلدان العربية لا تولى هذه الفترة العمرية اهتماما يذكر · فهى لا تفتح دور الحضانة ورياض الأطفال ولا تجعلها من مهام الدولة التربوية · وتترك فتح هذه الدور فى بعض هذه البلدان الى الجهود الخاصة ان وجدت · وغالبا ما تقدم برامج تربوية غير كافية أو ناضجة فى هذه الدور ·

وتفتقر هذه البلدان الى مستوى مرتفع من الرعاية الصحية والطبية لأطفالها · ويشكل هذا خطورة كبيرة على مستقبل هذه الأمة ·

أما فى مجال أدب الأطفال وقصصهم فهى ليست أحسن حالا من الحالات السابقة · فأدب الأطفال المتداول حاليا غير قائم على أسس

علمية سليمة فى معظمه · فضلا عن عدم كفايته · وغالبيته كذلك من الترجمات الأوربية(١) التى لا تتمثل قيم الاسلام ، ومبادئه ، وتحليلاته للنفس البشرية ، ومواجهته الموضوعية لقضاياها ·

وهذه الأمور تمثل تحديا كبيرا لتعليم الأمة الاسلامية عموما والبلدان العربية خصوصا · ومن ثم فان اى رسم للسياسة التربوية واى تحديد للفلسفة التعليمية بها ، وللبرامج التخطيطية والبرامج والمناهج المدرسية ينبغى أن يشمل بالدرجة الأولى برامج لرعاية الطفولة ، تتكافأ مع عظمة وأهمية هذه المرحلة فى بناء الأمة وبناء مستقبلها ·

فما أحوجنا الى أدباء وكتاب متخصصين فى أدب الأطفال يغمرون الميدان بالكتابات التى تحتوى قيم الاسلام ومبادئه ، وتبنى على أسسه الموضوعية فى تحليل النفس البشرية ، ومواجهة متطلباتها · وما أحوجنا الى التربية التى تستنبطن كل هذه الخصائص والأسس والمبادىء والقيم الاسلامية فى أهدافها ، ومناهجها ووسائلها · ·

وما أحوجنا فوق كل ذلك الى نظرة للطفولة ، مستوحاة من نظرة الاسلام لها · فعناية الإسلام بهذه الطفولة ما كانت لتقل بحال من الأحوال عن اهتمامه بالانسان فى أطوار حياته المختلفة · وهذا هو المغزى الحقيقى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثيرة فى هذا الباب · والتى يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : «علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل » ·

ولم تقتصر عناية الاسلام واهتمامه بالطفولة عند هذا الحد ، وانما امتدت هذه العناية الى الأم المسلمة · فالأم هى المؤثر الاول والقوى فى

---

(١) يتجه بعض كتاب الأطفال الى ترجمة كتب الأطفال الاجنبية ونشرها فى البلاد العربية برغم أنها لا تتفق مع طبيعة العقلية العربية التى لا تستسيغ مثل هذه القصص المتمثلة فى (السوبر مان) الرجل الخارق للعادة ، وطرزان ، وزورو ، وميكى ··· الخ ·

حياة الطفولة · ولذلك عنى باختيار الأم المسلمة عناية فائقة · وحبذ أن تكون الزوجة ذات دين وتدين قوى ·

قال صلى الله عليه وسلم :

« تنكح المرأة لجمالهـــا ، ومالها ، وحسبها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » ·

وهذه هى بداية التربية للطفولة فى الاسلام · الأم الصالحة ستملأ البيت أمنا وسكينة · وستسود بوجودها علاقات طيبة ســـوية ومن ثم تنشأ فى رحابها طفولة سوية · والأم الصالحة ستغرس فى أبنائهـــا الأمن والطمانينة ، وستعمل على بث مبـادىء الاســلام وقيمـــه فيهم ، فيشبون مستقيمين على هدى من الله ورسوله ·

وبعد مناقشة هذه الأمور والتحديات · وبعد أن قررنا أن الاسلام هو منقذنا مما نحن فيه ، ومنقذ البشَرية كافة مما تعانيه · نتساءل عن أهداف التربية فى الاسلام لكى نستضىء ونستنير بها فى بناء الانســان المسلم ، والمجتمع المسلم، الذى يواجه هذه التحديات ، ناهضا باسمى رسالة ـ رسالة الاسلام ـ وهى خلافة الله فى الأرض على أساس هــذا الاسلام الحنيف ·